بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين.. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..أما بعد :

يقول المصنف -رحمه الله تعالى-:

(رابعًا: آداب الزمالة)

الزميل: بمعنى الرديف والصاحب المرافق.

وسيتكلم المصنف هنا على مسألة مهمة ينبغي لنا جميعًا أن نتأمَّلها، ومن أهمية هذه المسألة نصَّ الشارع عليها في نصوص كثيرة.

قال -رحمه الله-: **(احذرقرين السوء)**يعني صاحب السوء.

قال: **(إن الطبيعة نقالةٌ والطباع سرَّاقة والصاحب ساحب)**الطبيعة نقالة "يعني كثيرة الانتقال، "والطباع سراقة والصاحب ساحبٌ" يعني يسحبك إلى طبعه وإلى خُلقه.

ثم قال: **(والناس مجبولون على تشبه بعضهم ببعض)** "والناس مجبولون" يعني مخلوقون على تشبه بعضهم ببعض؛ هكذا خُلِقوا وهكذا فُطِروا، قال "على تشبه بعضهم ببعض" هذه المعاني التي ذكرها المؤلف جاءت في نصوص الشرع قال تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**﴾ **[الكهف:28]** وقال تعالى: ﴿**الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ** ﴾ **[الزخرف :67]** وجاء في "**الصحيح**" أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"**مثَل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يُحذِيَك** –يعني يعطيك- **وإما أن تبتاع منه** –يعني تشتري منه- **وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا مُنْتِنَة"** وجاء كذلك في السنن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"**لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقيٌّ**" لأن أكل الطعام كناية عن طول الصحبة، فمن يصاحبك صحبة طويلة، ويكون معك من الأخلاء يشاركك في طعامك، وكذلك جاء في السنن حديث النبي صلى الله عليه وسلم قال:"**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالِل**" تأملوا قوله" **على دين خليله** " هذا يدل على أن التأثير فيه شيء من القهر والجبر بسبب طبيعة الإنسان في الصحبة، وفي ذلك يقول الحكيمُ:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن مقتدي.**

ثم قال -رحمه الله-:**(عليه فتخيَّر من يعينك على مطلبك)**ماهو مطلبك أيها المسلم؟ مطلبك الحصول على رضي الله، وتتعلم العلم لتعمل به ،هذا هو مطلوبك، قال: **(ويقربك إلى ربك ويوافقك على شريف غرضك ومقصدك فإن الصديق أقسام: صديق منفعة، وصديق لذة ،وصديق فضيلة فالأوَّلان** –يعني صديق المنفعة واللذة- **منقطعان بانقطاع موجبهما)** يعني صديق المنفعة ينقطع بانقطاع موجب صداقته وهي "المنفعة" فإذا انقطع نفعك له انقطع عنك وتركك ؛قد تكون هذه المنفعة مالاً أو جاهاً يستفيده بصحبته لك. إلى غير ذلك من النافع الدنيوية الزائلة، وصديق اللذة يعني بها صديق الشهوة يصاحبك مادام يتلذذ بالحصول على شهواته ورغباته سواء كانت هذه الشهوات من المحرمات أو من المكروهات، قد يجد لذته معك في الحديث يحادثك عن بعض الأمور التي يتحدث بها أهل الدنيا من سفاسف الأمور التي لا تعود بالنفع عليه و لا عليك ولا على أحد من المسلمين هذا إن سلِم من الإثم، هذان الصنفان –صديق المنفعة وصديق اللذة- يقطعونك بمجرد انقطاع المنفعة واللذة، والأهم من انقطاعهم ،ليس المقصود في عدم صحبتهم انقطاع صحبتهم بانقطاع موجبها –لا- هناك شيء أكبر وهو مضرتهم !! ضررهم عليك صحبتهم إن لم تُنقِص إيمانك لم تزدك إيماناً ولم تقربك من ربك ولا من مقصدك الشريف ولا من غرضك الذي اتخذته لك هدفاً.

ثم قال رحمه الله: **(أما الثالث فالتعويل عليه)** يعني بالثالث "صديق الفضيلة" التعويل عليه يعني الاعتماد عليه فالمؤلف يقول الاعتماد في الصحبة على الثالث على صديق الفضيلة، قال: **(وهو الذي باعث صداقته تبادل الاعتقاد في رسوخ الفضائل لدى كل منهما)** كل واحد منهم يعطي الآخر رسوخا في التحلي بالفضائل وفي اعتقادها وأهميتها ونِعْم الصحبة هذه، ثم قال: **(هذا النوع عملة صعبة يعز الحصول عليها)** لكن بحمد الله موجودة هذا النوع موجود، وليس المقصود أن تتحصل على الكامل-لا هذا صعب- حتى أنا وأنت ناقص ،لكن نبحث عن الأفضل، وكلما اقتربت هذه الصفات من درجة الكمال والعلو كلما كان ذاك الصاحب هو الأوْلى وينبغي أن نكون عليه أحرص.

ثم قال -رحمه الله-:(**وفي ذلك يقول هشام بن عبد الملك: ما بقي من لذّات الدنيا شيء إلا أخٌ أرفع مؤونة التحفظ يني وبينه).**

خلاصة هذا الفصل أن الإنسان بحسب من يصاحب، فمن جلس مع أهل الغيبة وانتقاد أهل العلم أشغلوه حتما عن العلم النافع ،وأشغلوه عن ذكر الله، وأشغلوه عن نفع نفسه ونفع أمته وهكذا، ومن صاحب أهل الإيمان زادوه إيماناً، فاختر لنفسك ولذلك قال صلى الله عليه وسلم:"فلينظر أحدكم" الأمر مهم، يحتاج إلى تأمل "فلينظر" يحتاج إلى اختيار "فلينظر أحدكم من يخالل."

ثم قال -رحمه الله:- (**خامساً: آداب الطالب في حياته العلمية:**)

هذا الفصل من أهم فصول الكتاب وهو الذي يغفل عنه كثير من الطلبة ويفتقده كثير منا وهي كما يقولون مربط الفرس.

قال -رحمه الله-: **(كِبَر الهمة في العلم)**

الهمة: الباعث والدافع على الفعل، والمقصود من قوله "كِبَر الهمة" يعني به علو الهمة، يقول العلماء :علو الهمة: أن تستصغر النهاية من معالي الأمور فمثلا العلم عالي الهمة يرى الوصول إلى أعلى درجات العلم ويرى مادون ذلك صغيرا فيسلك كل طريق يوصله إلى ذلك، لا يريد فقط أن يكون طالب علم مثقف –لا- يريد أن يكون إماما في الفقه وإماما في الحديث وإماما في التفسير، وهذا إذا سلك الطالب السبل الموصلة إلى العلم تحصل على خير عظيم، وكثير من العلماء بدؤوا في سن متأخر ولكن بعزيمة وعلو همة فبلغوا ما بلغوا، الإمام أبو حنيفة– كلكم تعرفونه- بدأ في طلب العلم متأخرا،الإمام ابن حزم –وكلكم تعرفونه- بدأ متأخرا، وكثير من أهل العلم بدأ متأخرا في العلم وبلغ ما بلغ بسبب علو الهمة وسلوك السبل الموصلة.

قال- رحمه الله-: **(ارسم لنفسك كبر الهمة لترقى إلى درجات الكمال)** صاحب الهمة هو الذي يترقى ومن رضي بالدون توقف.

قال: **(فيجري في عروقك دم الشهامة والركض في ميدان العلم والعمل)** يريد أن يكون كالأئمة الكبار، الهمة مرغّب فيها بل جعل الشارع ورتب عليها أجرا ،جاء في الحديث: **"من هم بحسنة ولم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة "**فالإنسان يكون لديه الهمة ،كل واحد منا لابد أن تكون همته أن يصل الغاية في العلم والعمل، يكون عالما عابدا تقيا ورعا لا يرضى إلا بجنة الفردوس الأعلى مع الأنبياء والشهداء.

قال رحمه الله: **(فلا يراك الناس إلا واقفا على أبواب الفضائل ولا باسطا يديك إلا لمهمات الأمور)**

هكذا ينبغي أن يكون المسلم لا يتشوّف ولا ينظر إلى سفاسف الأمور ولا إلى حطام الدنيا الزائل ولغو المجالس وتحليلات أهل الظنون والأخبار الكاذبة ويتلقّف كلام وسائل الإعلام المزورة والمغشوش منها وتذهب أوقاته لا علما تعلم ولا أمة نفع، الذي يتعلم العلم ويدرِّس الناس العلم هذا هو الذي انشغل بأحوال المسلمين، أما الذي يتتبع الأخبار والظنون الكاذبة وهذا يكذب على هذا وهذا يحلِّل وهذا يظن ثم يقول أنا مهتم بأحوالهم هو لم يهتم ولم ينفع المسلمين بشيء.

قال- رحمه الله-: **(وردِّد مقولة إمام أهل السنة أحمد بن حنبل -رحمه الله- "مع المحبرة إلى المقبرة-)**الله أكبر- انظروا إلى همة الإمام أحمد !! الإمام أحمد -رحمه الله- بلغ ما بلغ حتى صار إمام أهل زمانه في جميع الفنون، كان -رحمه الله- كما قال الشافعي: كان إماما في ثمانية أمور –يقول الإمام الشافعي عن الإمام أحمد- إماما في الزهد إماما في الورع إماما في العلم" وهكذا بدأ يعدد، فالإمام احمد رحمه الله حاز جميع الفنون الفقه والحديث ،وكان إماما في اللغة بشهادة الإمام الشافعي ومع هذا لم يفكر الإمام أحمد في الاكتفاء ولم يتوقف عن التحصيل بل يقول:" **مع المحبرة** "وهي آلة الحبر "**إلى المقبرة**" يعني سيستمر في التعلم وفي طلب العلم إلى أن يدخل المقبرة ويموت .ومما كان يقوله -رحمه الله- عن المحابر كان الإمام أحمد يقول: هذه سُرُج الإسلام -يعني بالعلم- يظهر الإسلام ويشع نوره.

ثم قال رحمه الله: **(ولا تغلط فتخلط بين كِبَر الهمة والكِبْر فان بينهما من الفرق مابين السماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع)** يقولون بين "كبر الهمة" والكبر فرق كبير كما أن هناك فرقا بين السماء والأرض، وقوله "السماء ذات الرجع" يعني ذات المطر "والأرض ذات الصدع" يعني الشقوق والتصدعات.

ثم قال: **(فالأول حلية ورثة الأنبياء والثاني داء المرضى بعلة الجبابرة البؤساء)**– نعم صحيح- كبر الهمة تدفع الإنسان لمزيد من العلم والعمل والحفاظ على الوقت ،يريد أن يكون إماما في الدين مطيعا لربه ينفع نفسه وأمته أما المتكبر فنظره إلى نفسه ويزدري الناس –بينهما فرق كبير.-

ثم قال -رحمه الله-: **(النَّهْمة في الطلب)** أي الولوع في طلب العلم والتعلق به، يقولون هذا منهوم بالعلم يعني لا يشبع من العلم؛شهوته ولذته متعلقة بالعلم.

قال رحمه الله: **(عليك بالاستكثار من ميراث النبي صلى الله عليه وسلم)**

ما هو ميراث النبي صلى الله عليه وسلم؟ ميراثه العلم، **"الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر".**

قال -رحمه الله-:**(وابذل الوسع في الطلب والتحصيل والتدقيق)** تطلب وتحصل حفظا وفهما وتدقق لمعرفة الصواب من الخطأ.

ثم قال: **(ومهما بلغت في العلم فتذكر قول القائل "كم ترك الأول للآخر")** يعني إذا خالجتك نفسك وغرّتك بأنك وصلت وبلغت مرتبة عالية وحُزت على علم غزير فتذكر قول القائل:" **كم ترك الأول للآخر"** ترك علما كثيرا أليس كذلك؟ فكذلك أنت تركت علما كثيرا وفاتك علم كثير ﴿**وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾ **[الإسراء:85]** وقال تعالى: ﴿ **وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ** . ﴾ **[يوسف:76]**

ثم قال: **(وقول الشافعي** -يعني وتذكر قول الشافعي رحمه الله-**"كلما ازددتُ علمًا زادني علما بجهلي")**هكذا الإنسان كلما اطلع على العلم وعرف سعة العلم وعرف عمقه وعرف كثرة فنونه وفروعه أحس بالقصور والجهل ،وعلم أن العلم واسع وأنه لم يحط به، وكلما قل علمه أحس بالكمال لأنه لا يعرف إلا القليل فيظن أن العلوم هذه فقط ،ويظن نفسه عالما.

ثم قال -رحمه الله-:**(الرحلة للطلب)** هذه من آداب الطالب في حياته العلمية يعني الارتحال وقصد أماكن العلم.

قال: **(إذا أردت أيها الطالب أن تتأهل في العلم فلابد من رحلة إلى أهل العلم لأن هؤلاء العلماء الذين مضى وقت في تعلمهم وتعليمهم والتلقي عنهم لديهم من التحريرات والضبط والنكات العلمية والتجارب ما يعز الوقوف عليه أو على نظائره في بطون الأسفار)**–هذا صحيح- وقد تكلم العلماء على الرحلة لأجل طلب العلم كلاما كثيرا لكن الخلاصة هذه الأشرطة والاتصالات الحديثة تؤدي جزءا كبيرا من مهمة الرحلة ؛لا تحل محله لكن تمتاز الرحلة بالتفرغ والبعد عن الملهيات وكذلك تمتاز الرحلة بالمشاهدة تعلم السمت وغير ذلك ،لكن عموما هذه الاتصالات الحديثة سدت مسدّا كبيرا ومن استغلها مع توجيه صحيح من طالب علم متقدم عليه في الطلب أقول

يكاد يبلغ الغاية المرجوّة من الرحلة وقوله" **في بطون الأسفار**" الأسفار جمع سفر يعني الكتاب الكبير.

قال: **(واحذر القعود عن هذا على مسلك المتصوفة البطالين الذين يفضلون علم الخِرق على علم الورق)**يعني علم التصوف والتربية والعبادة التي تؤخذ عندهم بالإجازة بالخرق كما سيأتي الإشارة إليه، وعلم الورق يعني به العلم الشرعي كتابا وسنة.

قال: **(فإنهم لا للإسلام نصروا ولا للكفر كسروا بل فيهم من كان بأسا وبلاءً على الإسلام)** هناك فرقة تسمى "الصوفية" وهذا الاسم يطلق تارة يراد به فئة من أهل الحق وتارة يراد به فئة من أهل الضلال، وغالب من يسمون بـ"الصوفية" في هذا العصر والزمن من أهل الضلال غالبهم، انحرفت عن مفهومها عند السلف وفسدت وعلى كل حال وباختصار عندهم مقامات ودرجات؛ يكون البلوغ إليها بأخذ خرقة يدعون أنها من علي- رضي الله عنه- وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما علَّم عليا أعطاه هذه الخرقة فصاروا يتوارثونها، وهي بمرتبة الإجازة عند أهل العلم يعني إجازة في التربية والتزكية والسلوك. وهم طبقات وفرق وأنواع لكن أكثر كلامهم خرافات لا صحة له وقد أضروا بالإسلام كثيرا والآن كثير منهم في الفضائيات يحلل ويحرم تارة ويفسر أحلاما تارة أخرى ويتعبدون لله بما لم يشرعه بل وقعوا في كفريات وشركيات. والخلاصة لا يوجد عبادة بغير علم؛ أهل الجهل لا يؤخذ منهم دين ولا حكم تجدهم يقولون :أنتم تأخذون من الأموات تدرسون على أيدي البشر والبشر يموتون ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ** ﴾ **[الزمر:30]**ونحن نأخذ العلم من الحي الذي لا يموت نتلقاه من رب العزة والجلال مباشرة !! الكلام على هذه الخرافات والضلالات يطول والله المستعان، لو نشر أهل العلم العلم لقلَّ هذا الشر لكن التقصير في الحقيقة من جانب طلبة العلم قلة من العلماء انظروا كم عدد الأمة وكم عدد العلماء فيها قلة، لذلك من أوجب الواجبات في هذا الزمن تعلم العلم ونشره ؛يتعلمه ويعلمه ،وهكذا كان الصحابة رضي الله عنهم كانوا ما يتعلمونه في النهار يعلمونه في آخر النهار.

قال -رحمه الله-:**(حفظ العلم كتابة، اعلم أن تقييد العلم بالكتابة أمان من الضياع وقصر لمسافة البحث عند الاحتياج)**الذي لا يكتب ولا يدوِّن المسائل ترتيبا وتلخيصا يفوته العلم هذا أمر مجرب.

قال: **(لاسيما مسائل العلم التي تكون في غير مظانها)** يعني في غير أماكنها مثلا قد تجد كلاما دقيقا في علم الحديث ؛فائدة في علم المصطلح يذكرها ابن مفلح في الآداب الشرعية دوِّن هذا على طرة كتابك، وأنت تقرا في تفسير أبي حيان في "تفسير القرآن" قد تمر عليك فائدة تتعلق بعلم الصرف أو بعلم النحو دوِّنها وانقلها في الدفتر المخصص لفوائد النحو وأنت تقرأ مثلا في شرح ابن رجب على البخاري قد تمر عليك فائدة في المذهب في الفقه خذها ودوِّنها في موضعها في المتن الفقهي وهكذا.

يقول رحمه الله: **(ومن أجلّ فوائده أنه عند كبر السن وضعف القوى يكون لديه مادة تأخذ منها مادة تكتب فيها بلا عناء في البحث والتقصي ويكون ذلك بأمرين)** يعني يكون تقييد الفوائد على طريقتين يعني يدون الفوائد فإذا كبر في السن وأراد أن يبحث أو يكتب وجد عنده من الفوائد واللطائف ما يستحق أن يدوّن جمعها على طرة كتابه، قال: **(ويكون ذلك بأمرين:**

الأول: اجعل لك مذكرة تقييم الفوائد –يمكن هنا فيه خطأ مطبعي- **مذكرة لتقييد الفوائد والفرائد والأبحاث المنثورة في غير مظانها،**

الثاني : استعمال غلاف الكتاب لتقييد ما فيه من ذلك ثم تنقل ما يجتمع لك في مذكرة مرتبا على الموضوعات مقيدا رأسَ المسألة واسم الكتاب ورقم الصفحة والمجلد واكتب على ما قيدته "نُقِلَ" حتى لا يختلط مع غير ما نقل)

لماذا تكتب بعد النقل نُقِل؟ لأنك أحيانا قد تكتب استدراكا أو تعليقا من عندك أو تأملا ظهر لك فإذا لم تكتب بعد المنقول نُقِل سيختلط عليك حينئذ ما كان من تعليقك وما كان منقولا من عند غيرك.

قال: **(قال الشعبي إذا سمعت شيئا فاكتبه ولو في الحائط)**إذن ذكر طريقتين الأولى أن تجعل في جيبك –هذا عندما قال اكتبه ولو في الحائط من باب المبالغة يعني من باب الحرص على عدم ترك أي فائدة.

هذا الفصل ذكر فيه المصنف طريقتين :

الأولى: أن تجعل في جيبك مذكرة تكتب فيها ما يعترضك من الفوائد.

والطريقة الثانية: على غلاف الكتاب ثم تنقله على مذكرة مرتبة على أقسام العلوم هناك.

طريقة ثالثة: بعضهم يكتب الفوائد على غلاف أو في غلاف كل كتاب يقرأه، إذا قرأ مثلا في كتاب" مدارج السالكين" مثلا أو قرأ في "شرح الحلية" كتب على أول صفحة في الحلية صفحة 45 قيد مهم في تعريف العدالة أو يكتب صفحة 70 تصوير لمسألة التورق ونحو ذلك هذا معروف من القديم إلى زماننا هذا، حتى الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله - له كتاب كان يقيد فيه الفوائد اسمه" المنتقى من فرائد الفوائد " والشيخ الراجحي له كتاب في تقييد الفوائد والشيخ العباد له كتاب في تقييد حتى المعاصرين هذه طريقة مسلوكة ومعروفة.

قال رحمه الله: **(حفظ الرعاية)** يعني حفظ اهتمام وملاحظة وأداء حقوق. قال: **(اجعل حفظك للعلم حفظ رعاية لا حفظ رواية)** حفظٌ مع أداء الحق من العمل والتصديق والتبليغ لا فقط رواية دون فقه وعمل هذا ليس مقصودا.

قال: **(فان رواة العلوم كثيرورعاتها قليل)** هذا صحيح فمن يعطي العلم حقه قليل والله المستعان-اللهم اجعلنا من أهل العلم العاملين- قال رحمه الله: **(ولا يكون ذلك إلا بالعمل والإتباع)** يعني كيف تعطي العلم حقه؟ كيف تحفظه حفظ رعاية؟ قال: **(بالعمل والإتباع والبعد عن المفاخرة والمباهاة به وألا يكون القصد في ذلك نيل الرئاسة واتخاذ الأتباع وعقد المجالس)** عقد المجالس يعني بها إقامة المجالس ليجلسوا حوله ويعظمونه ويعظموه ويظهر علمه وليقصده الناس لأجل هذه المقاصد السيئة.

قال: **(وسبيلا إلى نيل الأغراض وأخذ الأعواض)**الأعواض جمع عوض المقصود به هنا المعنى العام قد يكون عوضا ماديا أو معنويا مقابل علمه كأن يتحصل على جاه أو على منصب و نحو ذلك.

قال: **(فالإخلاص الإخلاص في الطلب وحسبك به)** يعني حسبك وكافيك أن تطلب العلم بالإخلاص، لمن؟ لرب العزة والجلال.

وللواحد منا أن يتأمل لنفرض أن جميع البشرية بل جميع المخلوقات من إنس وجن وملائكة ،وجميع ماخلق الله لو كلهم رضوا عنك وأثنوا عليك ولكن رب العزة والجلال لم يرض عنك وكنت عنده مذموما، هل استفدنا شيئا؟ لم نستفد شيئا فإن البشر لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا فضلا عن أن يملكوا لغيرهم، ولو أن البشر كلهم لم يعرفوا مقدارك ولم يعطوك حقك ،ولكن رب العزة والجلال يثني عليك في الملأ الأعلى

تعرفك الملائكة ويعرفك ملك الملوك، هل خسرت أو ربحت؟ لا ربحنا ربحا عظيما وقد تكلمنا عن شيء من هذا في أول الكتاب.

قال -رحمه الله-: **(تعاهد المحفوظات)** يعني ما تحفظه من النصوص والمتون.

قال: **(تعاهد علمك من وقت إلى آخر)**يعني راجعه وكرره. وتعاهد المحفوظات يختلف من محفوظ لآخر بعضها بقراءته كمراجعة الصحيحين مثلا أو البلوغ وبعضه بتكراره كبعض المواضع التي فيها ضعفا في الحفظ وبعضها بالنظر للتلخيص كبعض مسائل الفقه وبعضها بسرد المحفوظ غيبا كبعض المنظومات وكمراجعة القرآن الكريم وهكذا، وللناس في ذلك طرائق فمنهم من يراجع يوميا بمقدار ساعة أو ساعتين فقط للمحفوظات والباقي للدراسة ،ومنهم من يجعلها كل أسبوع فيسرد يوم الجمعة صباحا مثلا محفوظاته وينظر فيها لأربع ساعات .ومنهم من يجعلها يومين في الأسبوع لكل يوم ساعتان إلى آخره منهم من يسجلها بصوته ويسمعها في طريقه عندما يقود سيارته وأثناء مهنته في البيت أو أثناء الطبخ وهكذا.

قال- رحمه الله-: **(فإن عدم التعاهد عنوان الذهاب مهما كان)**هذا صحيح من كان فقط يحفظ ويستمر في الحفظ ويذهب دون مراجعة لم يستفد ولهذا كانوا يقولون اجعل الوقت قسمين قسم للمراجعة وقسم للجديد.

قال: **(وتذكر قوله صلى الله عليه وسلم "إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت)**هذا الحديث في الصحيحين هذا حديث ابن عمر رضي الله عنه، وصاحب القران أي الحافظ له عن ظهر قلب شبهه النبي صلى الله عليه وسلم بصاحب إبل مربوطة بالعقال؛ العقال الحبل الذي تربط به الإبل، وجه الشبه بينهما هو في التعاهد فصاحب الإبل إذا تعاهدها بالربط أمسكها وبقيت عنده وانتفع بها وإن أطلقها وفك عقالها انفلتت منه وذهبت فكذلك صاحب القرآن إن تعاهد القرءان وراجعه ثبت القرءان وكان عنده وأمسك به واستفاد منه تأملا وتدبرا وقياما بالليل ومراجعة في أوقات الانتظار ونحو ذلك ،وإن أهمله تفلت منه القرءان وصارت القراءة فيها مشقة عليه، تصعب عليه فان احتاجه لم يستطعه.

قال رحمه الله: **(فإذا كان القرءان الميسر يذهب إذا لم يتعاهد فما ظنك بغيره من العلوم المعهودة)**القرءان ميسر ومحفوظ قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ**

فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:17]. سهلناه للحفظ وللأداء عملًا ،تجد الملايين من العجم ممن لا يعرف كلمة واحدة من كلام العرب ،ولا يفهم كلام العرب تجده يحفظ القرآن من الفاتحة إلى سورة الناس لا يخلو منه حرفا ومع هذا أوصى المصطفى صلى الله عليه وسلم بمعاهدته فكيف بغيره من العلوم التي فيها شيء من الصعوبة.

قال رحمه الله: **(وخير العلوم ما ضُبط أصله واستذكر فرعه وقاد إلى الله تعالى ودل على مايرضاه)** هذه الجملة لابن عبد البر -رحمه الله- ذكر ثلاث صفات: الأولى **ضبط الأصل** بالحفظ والتقسيم بخرائط ذهنية وتلخيص مثلا: فرائض الوضوء ستة يحفظها ويكتبها ويجعلها في خريطة ذهنية هذه أول خطوة ثم **يستذكر الفرع** ماهي أدلة هذه الفرائض وما هو خلاف العلماء فيها، إذا كان ضابطا للفرائض في الأصل سيسهل عليه البناء وإذا لم يضبط الأصل لم يستذكر الفرع ثم **قال وقاد إلى الله ودل على ما يرضاه**-الله أكبر- هذا الذي لا يقرب إلى الله ليس بخير العلوم، العلم ما قرب إلى الله عملا فمثلا بعدما عرفت فرائض الوضوء وصفة الوضوء الكاملة إذا لم تفعل و تطبق ما تعلمته ما الفائدة؟ وإذا تعلمت أن سنن الوضوء كذا وكذا فقمت وعملت بها وعلمت أحكام الصلاة فصليت. كنا قديما إذا رأينا طالب العلم من بين الناس نعرف أنه طالب علم من خلال سمته وصلاته وخشوعه لا يترك شيئا من السنن إقباله على الله ،عنده المراقبة يعرف عظمة الله ويعرف علم الله وحلمه وحفظه لهذه الشريعة، وإذا تعلم أحكام العفو والصفح قام بها ،وإذا تعلَّم أحكام الآيات والنصوص التي تتكلم عن التهجد وقيام الليل قام بها، هذا هو خير العلوم ما ضبط أصله واستذكر فرعه وقاد إلى تعالى ودل على ما يرضاه المولى جل وعلا.

ثم قال رحمه الله: **(التفقه بتخريج الفروع على الأصول)**

المقصود بـ"تخريج الفروع على الأصول" عرض الأصول والقواعد بعد ضبطها وتفريع المسائل عليها؛ يذكر تحت كل قاعدة ما يتفرع عنها من مسائل سواء كان ذلك على أكثر من مذهب أو على مذهب واحد، قد أُلِّفت كتب كثيرة في ذلك منها "مفتاح الوصول" للتلمساني المالكي منها "التمهيد في تخريج الفروع" للإسنوي الشافعي ومنها "القواعد والفوائد الأصولية" لابن اللحام الحنبلي وغيرها، وهذا الفن لا يقرأ إلا بعد المرور على متن فقهي يتصور فيه الطالب الفروع الفقهية.

ومن ولج في هذا الفن "تخريج الفروع على الأصول "قبل دراسة الفقه بالتصوير والتقرير والتدليل وقع حينئذ في تناقضات وشذوذات، هذا العلم مع أهميته وجلالته إلا أنه يحتاج لحصيلة علمية جيدة من النصوص ومن أقوال العلماء وتصرفاتهم ،ومن أكبر وأعظم أسباب الفتاوى الشاذة في هذا الزمن هو ولوج واقتحام صغار طلبة العلم لهذا الفن دون أن يتهيأوا له، هذا العلم زبدة وخلاصة علم أصول الفقه وهو تطبيق عملي لعلم أصول الفقه.

ثم قال رحمه الله: **(تحلَّ بالنظر والتفكروالفقه والتفقه)** يعني الكلام على هذا يطول لكن يجمعها تأمل الكلام ثم النظر في كلام أهل العلم ثم المقارنة بينها بالتقليب والتبصر فيه.

قال رحمه الله: **(لتصل بإذن الله إلى ما يسميه الفقهاء "فقيه النفس" وهو الذي يعلق الأحكام بمداركها الشرعية)**فقيه النفس: يعنون به الاستعداد الفطري للفهم يعني له قوة وتبصر في الجمع بين النظير ونظيره والتفريق والترتيب ومن أحسن ماعُرّف به-يعني فقيه النفس- قول الغزالي رحمه الله: إذا تكلم -فقيه النفس - في مسألة لم يسمع بها من قبل فكلامه فيها ككلامه في مسألة درسها من قبل" يجري بها على قواعد أهل العلم.

قال: **(فعليك بتخريج الفروع على الأصول وتمام العناية بالقواعد العامة)** هذا العلم هو الفقه حقيقة لكن كما قلت يتجاسر عليه الطالب في بداية علمه فيقع في إشكالات كثيرة فيضر نفسه ويضر غيره، لذلك لا يتجاسر عليه الطالب إلا بعد ما يحصِّل جملة من العلوم وما نراه الآن عند بعض الطلاب يسمى فوضى، يفتي في مسائل فيها نصوص من الشرع نص الشارع عليها حلا أو حرمة ،فيفتي بخلاف النص وبخلاف كلام أهل العلم ويأتي بمسالك وبعلل لم يسلكها أهل العلم الكبار بسبب قلة تحصيله لم ينتبه للفروق ولم يعرف مقصود الشارع.

قال رحمه الله: **(وأجمع للنظرفي فرع مابين تتبعه وإفراغه في قالب الشريعة العام من قواعدها وأصولها المطردة)** هذه القواعد والضوابط تجعل الطالب مطردا غير متناقض يجري في مضمار الفقهاء.

قال: **(كقواعد المصالح ودفع الضرر والمشقة وجلب التيسيروسد باب الحيل وسد الذرائع فان هذا يسعفك في مواطن المضائق)**الكلام على هذا يأتي في مرحلة متقدمة

بعد دراسة شيء من المختصرات، شرح هذه المصطلحات يصعب في هذا الموضع لكن الخلاصة العلم لا يقتصر على دراسة فروع الفقه وأصول الفقه النظري بل هذه قاعدة وأساس ينطلق منها الطالب بعدها لضبط هذه القواعد واستنباط الأحكام من نصوص الشرع بواسطتها، وإذا تعرضت له نازلة عرض النازلة على نصوص الشرع وعلى هذه القواعد وعلى مقاصد الشريعة حينئذ يتحصل على نتيجة صحيحة سليمة على طريقة الفقهاء ،هذا في الحقيقة مستوى عالي.

قال- رحمه الله-: **(فالفقيه هو من تعرض له النازلة لا نص فيها فيقتبس لها حكما**)هذا ما يسمونه بالنازلة والنوازل تحتاج إلى فقهاء.

قال: **(ولشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله فصول مهمة في ذلك من نظر في كتب هذين الإمامين سلك به النظر إلى التفقه طريقا مستقيما)** صدق رحمه الله ابن تيمية أفقه بكثير من ابن القيم كلاها فقيه لا يشق له غبار. قال - رحمه الله-: **(اللجوء إلى الله في الطلب والتحصيل)** هذا أول الأصول في آداب الطلب والتحصيل ،وهذا الذي نغفل عنه كثيرا ومن ولج منه سبق غيره وقد تأثرت من قصة لتلميذ للإمام أحمد يقولون لما مرض الإمام أحمد ودنا أجله التف حوله تلامذته وقالوا للإمام : يا إمام من نسأل بعدك؟ فقال اسألوا عبد الوهاب بن الورّاق. فقالوا له: يا إمام هذا الرجل ليس بأعلمنا، كأنهم تقالّوا علمه فقال لهم الإمام أحمد كلمة عظيمة: "**إنه رجل صالح مثله يوفَّق لإصابة الحق)** أترككم مع هذه الجملة لتأملها إنه رجل صالح -ليس بأعلمهم- لكن رجل صالح مثله يوفق لإصابة الحق، هذا باب نغفل عنه.

قال رحمه الله: **(لا تفزع أو تكترث إذا لم يفتح لك في علم من العلوم)** يعني إذا لم تتقن علما من العلوم وتسهل عليك طرقه.

قال: **(فقد تعاصت بعض العلوم على بعض الأعلام المشاهير)** هذا مشهور جدا كانوا يصرحون بهذا. قال: **(فضاعف الرغبة)**يعني العزيمة قال: **(وافزع إلى الله في الدعاء واللجوء إليه والانكسار بين يديه)** فمن الذي عنده علم كل شي؟ ومن الذي بيده كل شيء؟ رب العزة والجلال، فإذا سألته أعطاك ولذلك قال الله لنبيه: ﴿ **وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا** ﴾ **[طه:114]**

ونكتفي بهذا القدر.. والله تعالى أعلم.. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين